

《外國語文研究》第二十六期 抽印本
2017 年六月 1~21 頁

喜博威之書中的引證與舉例
The Duality of Quotation and Representation in
the Book of Sībawayh

馬穆德

Mahmoud Talab Abdeldeen

喜博威之書中的引證與舉例

馬穆德*

摘要

本論文探討第一部完整的阿拉伯語法書—《喜博威之書》(KitābSībawayh)語料引證的雙方法，認為此書的引證是建立在兩大基礎上：其一是引證於語法學的 shawāhid；其二則是列舉例句。本論文認為喜博威遵循特定的方法，交互運用這兩者。

喜博威引證於 shawāhid，目的在確認語法規則、溯其源、解釋違反規則的方言等。因此在他的書裡引證於許多 shawāhid，這些 shawāhid 是違反當時通用語法規則的方言。

至於他列舉的例句，通常是為了解釋及分析通用的語法規則。換言之，喜博威是最早認知藉舉例來闡釋語法規則的語言學者之一。此點可以從後來的語言學學者紛紛引用喜博威書中的例句，並仿效喜博威的方法，使用那些例句中的詞彙得到印證。

本論文並認為引證於 shawāhid 或舉例的方式與語法主題有很大的關係：語法規則越是明確與通用，引證於 shawāhid 便越少，舉例說明便越多；語法規則越是稀有或不明確，引證於 shawāhid 便越多。

關鍵字：喜博威之書、引證、語法學的 shawāhid、例證、舉例

* 政治大學阿拉伯語文學系助理教授
2017年4月12日投稿 2017年5月24日通過

The Duality of Quotation and Representation in the Book of Sībawayh

Mahmoud Talab Abdeldeen*

Abstract

This research discusses an important duality in *The Book of Sībawayh*, which is described as the first syntactic book on Arabic language. This duality is represented in two essential pillars that form the essence of the book and its basic structure. They are: syntactic quotation and representation by composed examples. This research shows that Sībawayh employed this duality according to a methodology characterized by the integration and association of this duality.

Sībawayh employed evidence from quotations to authenticate syntactic rules, establish their origin, and detail what contradicted such rules in vernacular dialects. He also discussed aspects of linguistic usage of these grammatical rules among native speakers. Therefore, he often used many quotations in this book documenting vernacular spoken dialects that exhibited some type of deviation away from established syntactic rules.

Sībawayh often composed examples to explain and analyze established grammatical rules so as to reach an understanding of these rules. Consequently, it can safely be said that Sībawayh is one of the first syntacticians who sensed the importance of representation by composed examples in syntax, and considered it as a means to explain and illustrate grammatical rules. Perhaps, the emphasis of representation can be supported by the fact that subsequent syntacticians have used the same verbs and nouns from the sentences of Sībawayh's examples as they occurred in his book.

This research demonstrates that the type of syntactic themes will highly influence the way quotations and/or representations are used in *The Book of Sībawayh*. Which is to say, the more syntactic rules are established, the less is the quotation of syntactic evidence, and the greater is the representation by composed examples. On the other hand, whenever syntactic rules are less established or fixed, the greater the need for quotations.

Keywords: The Book of Sībawayh, syntactic quotation, representation, composed example

* Assistant Professor, Department of Arabic Language and Culture, National Chengchi University

ثنائية الاستشهاد والتمثيل في كتاب سيبويه

محمود طلب عبد الدين*

ملخص البحث

يناقشُ البحثُ ثنائيةً مهمّةً في كتاب سيبويه، بوصفه أوّل ما أُلّف من الكتب النحوية في اللغة العربية، وتتمثّل هذه الثنائية في ركنين أساسيين مثلاً جوهر الكتاب وأساس بنائه، وهما: الاستشهاد بالشواهد النحوية، والتمثيل بالأمثلة المصنوعة، وقد أظهر البحث أنّ سيبويه قد وظّف هذه الثنائية وفق منهجية محددة قائمة على التكامل والترابط فيما بينهما.

فأمّا الاستشهاد بالشواهد فوظّفه لإثبات القواعد النحوية، وتأصيلها وتفصيل ما جاء مخالفاً لها من اللهجات، وصور الاستعمال اللغوي للقواعد النحوية بين الناطقين باللغة، ولذلك استشهد في كتابه بشواهد كثيرة تسجل اللهجات المتداولة التي كانت تسجّل خروجاً عن الأصل المطرد للقاعدة النحوية.

وأما التمثيل بالأمثلة المصنوعة فغالباً ما استعمله سيبويه لشرح وتحليل القواعد المطردة الثابتة، للوصول إلى فهم هذه القواعد، ويمكن القول باطمئنان إنّ سيبويه من أوائل النحاة الذين استشعروا أهمية التمثيل في النحو باعتباره وسيلة لشرح القواعد وتوضيحها، ولعلّ ما يؤكد هذا تداول النحاة اللاحقين لأمثلة سيبويه وجمله كما أوردها في كتابه، فضلاً عن اقتفاء طريقته في التمثيل باستعمال الأفعال والأسماء نفسها التي كان يوردها في تلك الأمثلة.

وأظهر البحث أنّ لنوعية الموضوعات النحوية أثراً كبيراً في توظيف الاستشهاد والتمثيل في كتاب سيبويه، فكلما كانت الموضوعات النحوية مطردة ثابتة قلّ الاستشهاد بالشواهد النحوية، وزاد التمثيل بالأمثلة المصنوعة، وكلّما كانت القواعد أقلّ اطراداً وثباتاً زادت الحاجة للاستشهاد.

الكلمات المفتاحية: كتاب سيبويه، الاستشهاد، الشواهد النحوية، التمثيل، الأمثلة المصنوعة

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية اللغات الأجنبية، جامعة جنجي الوطنية، تايوان.

ثنائية الاستشهاد والتمثيل في كتاب سيبويه

محمود طلب عبد الدين

1. المقدمة

يوصف كتاب سيبويه دائماً بأنه أول ما ألف من كتب النحو، مما جعله محط اهتمام الدارسين في القديم والحديث لما تضمنه من ظواهر علمية جديدة بالبحث والدراسة، دُرِس كثير منها خصوصاً في مجال شرح الشواهد وتوجيه إعرابها، وما زال بعضها ينتظر البحث والتمحيص، فقد ظلّ كتابه مفتاحاً لعلم النحو العربي كله، وضمّ بين دفتيه مذاهب البصريين في النحو، وهو إلى جانب ذلك يعدّ النموذج لتأليف كتب النحو والصرف، فقد تابعه النحاة بعده في نمطه واقتبسوا منه، وسعوا سعياً في شرح هذا الكتاب¹.

ومن هذه الظواهر البارزة في هذا الكتاب، أننا نجد سيبويه يراوح بين الاستشهاد بالشواهد النحوية، والتمثيل بصياغة الأمثلة التي تشرح القاعدة النحوية وتوضحها، فغالباً ما يبدأ أبواب كتابه بأمثلة يصوغها تعبيراً عن فهمه للقاعدة النحوية التي يريد مناقشتها وتوضيحها، ثمّ يتبعها بالشواهد النحوية التي تثبتّها، وقد يكتفي أحياناً بالأمثلة التي يصوغها دون الاستشهاد بأي شاهد نحوي.

فما هي المنهجية التي انطلق منها سيبويه في توظيف هذه الثنائية، أعني الاستشهاد بالشواهد النحوية، والتمثيل بالأمثلة المصنوعة التي كان يصوغها؟ وما هو المقياس الذي اعتمده الرجل للمراوحة بين هذه الثنائية؟ وهل كان عمله هذا اعتباراً وارتجالاً، أم كان مبنياً على منهجية واضحة المعالم والأركان؟ وهل لنوعية القواعد النحوية أو الصرفية التي كان يدرسها علاقة بهذه المنهجية أم لا؟

وتتجلى أهمية هذا البحث في أنّه يستجلي المنهجية التي انطلق منها سيبويه في الاستشهاد بالشواهد النحوية والتمثيل بالأمثلة المصنوعة بوصفه رائد التأليف النحوي، مما يساعد على تأكيد القول بوجود منهجية علمية لدى سيبويه في كتابه، أو نفي ذلك اعتماداً على مآلات البحث ونتائجه. خصوصاً أن الناظر في كتابه يلحظ احتفاءه بالاستشهاد والتمثيل في جميع أبواب كتابه، بوصفها أداتين مهمتين في التأليف النحوي، لا غنى لأي باحث عنهما. وما من شك في أنّ تسليط الضوء على هذه المسألة يسهم في فهم العلاقة النازمة لهما في ثنايا الكتاب، إذ لا يخفى أنّ سلامة المقدمات والمنهجية الصحيحة تقضي إلى نتائج سليمة، كما أنّ مجانبة ذلك تقضي إلى نتائج مغلوطة، وقد حاول بعض الباحثين الطعن في المنهجية التي اتبعها النحاة الأوائل في رصد ظواهر اللغة والتعبير عنها، فوصفوا تلك الجهود بالعشوائية تارة، وبالانتقائية تارة أخرى، وهو ما لا يستقيم أمام النظر العلمي الصحيح الذي يستند إلى الموضوعية في الحكم على الأشياء في سياقها الزماني والمكاني. وهذا ما سيحاول البحث تجليلته إنصافاً لجهود هؤلاء العلماء الأوائل الذين أسهموا في حفظ اللغة، وتسجيل ظواهرها، واستعمالاتها الجارية على ألسنة من يحتجّ بكلامهم في ذلك الزمان.

وسيتخذُ البحث المنهج الوصفي التحليلي أساساً لتفسير الظاهرة المدروسة، وستكون مادة الدراسة كتاب سيبويه، حيث سيتم دراسة أبواب الكتاب لمعرفة المنهج الذي اعتمده سيبويه أساساً للاستشهاد بالشواهد النحوية والتمثيل بالأمثلة

المصنوعة، وسيُلاحظ البحث مواضع الاستشهاد بالشواهد النحوية، والأمثلة المصنوعة للمقارنة بين ذلك للخروج بتصوّر كامل لهذه المسألة².

2. الجهود الأولى للنحاة

اعتمد النحاة في استنباط القواعد النحوية وتلقيدها والاحتجاج لها على ما وصلهم من كلام العرب، حتّى قيل في تعريف النحويّ: "علم استخراج المتقدمين من استقراء كلام العرب"³، أو هو "انتحاء سمت كلام العرب في تصرّف من إعراب وغيره"⁴. ولم يكن انتحاء سمت كلامهم إلا بالتزام القواعد والقوانين التي يحرصون على مراعاتها فيما يتحدّثون به، ولذلك لم يكن للنحاة بدٌّ من الاطلاع على ذلك الكلام الفصيح شعراً ونثراً.

ولهذا كان من الطبيعيّ أن يحرص النحاة في بداية مرحلة التقعيد اللغويّ على السّفر إلى البداية لجمع كلام العرب يستدلّون به على صدق ما يذهبون إليه من استنباط وتقييد، واشتهرت في هذا المجال رحلات النحاة إلى البداية للسمع من أفواه الأعراب الفصحاء، كرحلات أبي عمرو بن العلاء (154هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ)، ويونس بن حبيب (182هـ)، والأصمعي (216هـ)، ويُذكر في هذا المجال أيضاً رحلة الكسائي (189هـ) الذي أنفد خمس عشرة قنينة حبرٍ في تدوين ما سمعه من كلام العرب فضلاً عما حفظه ووعاه⁵، ويروى أيضاً أنّ أبا عمرو بن إسحاق (206هـ) دخل البادية ومعه دسّيجان حبراً فما عاد حتّى أفنهما بكتابة ما سمعه عن العرب⁶.

وما كان صنيع النحاة هذا إلا إدراكاً منهم لأهميّة ما يسمعونه من أفواه الأعراب في حفظ اللغة، وتفسير ظواهرها النحويّة والصرفيّة والصوتيّة والدلاليّة، مدفوعين في ذلك كلّهم بسببين مهمين:

أحدهما دينيّ هدفه المحافظة على سلامة القرآن من اللحن الذي فشا وانتشر بعد توسّع الدولة وترامي أطرافها، والآخر تربوي تعليمي، وهو مرتبط بالسبب السابق وناتج عنه، هدفه المحافظة على اللغة وتعليمها واستنباط قواعدها وتفسير ظواهرها المختلفة. وصنيعهم هذا يؤكّد على سلامة منهجهم لأنه منهج قائم على الاستقراء والملاحظة لاستخلاص قواعد اللغة العامّة وفهم ظواهرها من أفواه الفصحاء الذين لا يعرفون اللّكنة اللغويّة، أو ما يعرّفون صفو لغتهم التي يتلاغون بها⁷.

وقد بنى النحاة قواعدهم واستنباطاتهم على ركنين بارزين، أولهما: مصادر منقولة اعتمد فيها النحاة على النّقل المباشر عن من يوثق بفصاحته من العرب، وهو ما يعرف بالسمع اللغوي، ويشمل ذلك: القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب شعره ونثره، وسمّي ما يستشهد به من هذه المصادر بالشواهد النحوية واللغوية. وثانيهما: مصادر معقولة، وتكون بإعمال العقل والقياس، وبيان العلّة واستنباط القواعد، وهو ما أفرز ظاهرة التمثيل القائمة على ما يصنعه أو يصوغه النحوي من أمثلة يقيسها على المسموع من كلام العرب، بهدف التوضيح والشرح والتّعليم. وهذا يعني أنّ السّماع كان مصدرًا مهمًّا لمعرفة ظواهر اللغة المختلفة وإثباتها وصولاً إلى تقعيد القواعد اللغوية، وقد وضع النحاة إطاراً مكانياً للقبائل التي يحتج ويستشهد بكلامها، ممن لم يشتهر مخالطتها لغير العرب، وأبرز تلك

² تم الاعتماد في البحث على نسخة كتاب سيبويه بتحقيق: عبد السلام هارون، وستوثق الأمثلة التي تقتبس من الكتاب في متن البحث بكتابة رقم الجزء والصفحة للتقليل من عدد الهوامش في صفحات البحث.

Al-Suyuti, Jalal al-Din. 1976. Aligtirah, Edited by: Ahmad Gasim, Cairo: Matbaatu Asaadah. 31 3

Ibn Jenni. Abu al-Fath Othman. 1952. Al-Khasais. Edited by: Mohamed Ali Najjar. Cairo, Dar Alkutub Almisriya. VI.1p.34 4

al-Rāfi 'i, Muṣṭafa Sādiq. *Tārīkh Ādāb al-'Arab*. Cairo: Matbatu Alimaan. VI.1p.282-284 5

Al-Qifti, Jamal al-Din Abu al-Hasan. 1986. Inbah Aruwati Ala Anbaai Anuhati, Edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Cairo, Dar al-Fikr al-Arabi. 6 VI.1p.259

Hammar, Nasima. 2011. Ishkaliyatu Taleem Anhwī Alarabi, Algeria, Mkhbar Almunarasati Alugawiya. 23 7

القبائل: قيس وتميم، وأسد وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، كما أنهم وضعوا لذلك إطاراً زمانياً يمتدُّ حتى القرن الرابع الهجري للأعراب الذين كانوا يسكنون البادية، وحتى منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً لمن كانوا يسكنون الحواضر والمدن⁸.

إنَّ النَّظْرَ في الكتب النحوية يبيِّن أن النحاة لم يقتصرُوا على إيراد الشواهد النحويَّة للاستشهاد بها على القواعد النحوية التي بحثوها في كتبهم، بل أكثرُوا كذلك من توظيف الأمثلة المصنوعة، فإذا كانت الشواهد النحويَّة التي جمعها النحاة واستشهدوا بها تمثل حقيقة ما نطق به المتكلمون الفصحاء في فترة الاحتجاج اللغوي، فإن الأمثلة النحوية المصنوعة لا تقلُّ أهميَّة عن تلك الشواهد، لأنها تعبِّر عن فهم النحاة للظواهر النحوية التي كانوا يدرسونها، ومحاولة منهم أحياناً لشرحها وتوضيحها للمتعلِّمين، والقياس عليها، مما يجعل الشاهد النحوي، والمثال المصنوع يشكِّلان ثنائيتيَّة تستحقُّ البحث والدراسة، لأنهما يسيران جنباً إلى جنب، في تسجيل الظاهرة اللغوية، وتأصيلها، وفهمها وتوضيحها. وخدمة لأغراض هذا البحث وتفصيلاً لموضوعاته، فسيتمُّ توسيع القول في مفهوم الاستشهاد النحوي، والتمثيل النحوي لبيان الحدود الفاصلة بين كلِّ منهما، وطبيعة الضرورة التي اقتضت وجودهما في الكتب النحوية. وكيف اختطَّ سببويه منهجيتة في التعامل مع هذه الثنائية في كتابه؟

3. الاستشهاد النحوي

الاستشهاد والشواهد مصطلحان طالما ترددا عند الحديث عن اللغة وقواعدها، فهما من الأصول التي قامت عليها علوم اللغة كلها، والاستشهاد كلمة مشتقة من الجذر اللغوي (ش ه د)، وأصل معانيه الدلالة على الحضور والوجود، والعلم والإعلام، والإخبار والإظهار، والمعابنة والإدراك، والكشف⁹، وكلها معانٍ متقاربة تتأزر فيما بينها لتدلَّ على معنى الإخبار والإثبات بما يفيد القطع، فالناس يقولون في حياتهم اليوميَّة: "استشهدتُ بكذا على صحَّة رأيي" أي: أوردت دليلاً يثبت ويؤكد رأيي ويبين صحته، ويكون هذا الدليل عادةً مأخوذاً مما يُدرِّكه الناس ويفهمونه بعقولهم، أو يشاهدونه بأعينهم، أو يسمعونه بأذانهم، أو يتكلمون به بأفواههم، أو يحسونه بأيديهم، ويسمى هذا الدليل بالشاهد، فكل شاهد هو دليل يثبت أو ينفي أمرًا ما، قال أبو هلال العسكري (395هـ): "الشاهد نقيض الغائب في المعنى، ولهذا سُمِّي ما يُدرك بالحواس ويُعلم ضرورة شاهداً"¹⁰.

وتسمَّى عمليَّة إيراد الشواهد بـ "الاستشهاد" فيكون الاستشهاد في الكتب النحوية بإيراد الشواهد التي تثبت قاعدة، أو استعمالاً جرى على ألسنة الناطقين باللغة، فيأتي النحويُّ بالشاهد تأكيداً لما يذكره وتوثيقاً له، وقد تسمَّى هذه العمليَّة بـ "الاحتجاج"، وكلاهما - أي الاستشهاد والاحتجاج - "يتلاقيان في مجرى واحد هو: سؤُق ما يُفطَّح ويُبرَّزُهُنَّ على صحَّة القاعدة أو الرأْي"¹¹، ويبدو أنَّ لفظ الاحتجاج كان يستخدم حين يتم إيراد الشواهد " في المواقف التي تتطلب المغالبة والجدل بقصد النَّقْوِّ ونصرة الرأْي"¹²، إذ قد يختلف النحاة أحياناً في مسألة من المسائل فيحتج كل واحد بما سمعه من شواهد لإثبات صحَّة ما أورده، فإذا أورد الشاهد لمجرد الاستشهاد به سُمِّي ذلك استشهاداً، وإذا أورد لبيان صحَّة رأي دون آخر كان ذلك احتجاجاً.

8 Al-Afghani, Saeed. 1994. Fi Usool, Anhaw, Damascus, Mudairiyatu ALkutub Walmatbuat ALjamiyaa. 19-24

9 Ibn Manzour. Jamal al-Din Muhammad ibn Makram. 1994. Lisanu Alarab. Beirut: Dar Sader. VI.4p.238-243

10 Al- Askari. Abu Hilal. 1981. Alfuroog Alugawiyah, Edited by: Lajnatu Ihyaa Aturaath Alarabi, Beirut: Dar Alafaag Aljadeddah. 88 10

Eid, Mohammed. 1976. Ariwayah Walistishadu Bi Alugati, Cairo, Alam Alkutub. 102 11

Eid, Mohammed. 1976. Ariwayah Walistishadu Bi Alugati, Cairo, Alam Alkutub. 103 12

وكثيرًا ما يطلق على عملية الاستشهاد النحوي بالاستدلال أيضًا، فالاستدلال إيراد الدليل لتأكيد صحة الرأي، فيكون ذلك بإيراد الشواهد التي تؤكد صحة الاستدلال أو ضعفه.

ويعرّف الشاهد في الاصطلاح النحوي بأنه: "الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة؛ لكون ذلك الجزئي من التّنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيّتهم، وهو أخصّ من المثال"¹³ ويُفهم من هذا أن الشاهد نصّ موثّق يرويه علماء اللغة عن الناطقين باللغة؛ لإثبات قاعدة من القواعد النحوية أو الصرفية، أو الصوتية أو الدلالية، التي توصل إليها النحاة أثناء دراستهم واستقراءهم للغة، فيكون ذلك الشاهد معرّزًا ومؤكّدًا لصحة ما يذكره من قواعد. ومما سبق يمكن القول إنّ الشواهد هي مادة الاستشهاد وأساسه، وبرزت أهميتها عند مفسري القرآن وعلماء اللغة منذ وقت مبكر على حدّ سواء؛ فقد مسّت الحاجة إلى الاستشهاد لتحديد صحّة المعنى، أو تحديد دائرته بعد أن فشا اللحن وانتشر نتيجة لتوسع الدولة العربية في ذلك الوقت ودخول أجناس جديدة في العربية، فكان الحرص على سلامة اللغة والدين من أهمّ البواعث على جمع الشواهد والاعتناء بها.

ولما كان القصد من الاستشهاد بالشواهد إثبات أنّ الاستعمال اللغوي المشهود له من فصيح كلام العرب اطرادًا أو شذوذًا¹⁴، فإنّ أهمية الشواهد تتبدى في وظيفتين أساسيتين: الأولى هي إثبات واقع اللغة في مستوياتها المختلفة: الأصوات والصرف أو الصيغ، والنحو أو التركيب، والمتن والدلالة. والوظيفة الثانية تحديد ضوابط اللغة وحدودها، وسنن أهل السليقة فيها، وعلى هاتين الوظيفتين يقوم بناء اللغة التي يراد لها أن تطرد وتعيش، وتبقى حافظة خصائصها، حاملة لطابعها السليقيّ الأصيل¹⁵.

وبالنظر في هاتين الوظيفتين يمكن استخلاص أهمية الشواهد النحوية بوصفها تمثّل حقيقة ما تكلم به أهل اللغة، واستقرّ لديهم من قواعد لغوية، أو لهجات تداولوها فيما بينهم، وهو ما يفسّر حرص علماء اللغة على جمع هذه الشواهد وروايتها وتأصيلها، وإثبات نسبتها إلى الناطقين بها في أغلب الأحيان، منذ البدايات الأولى لمرحلة التأليف اللغوي، إذ لولا هذه الشواهد لضاعت كثير من الظواهر اللغوية التي تكلم بها العرب في بيئاتهم المترامية هنا وهناك، مما يجعلنا ننحني إكبارًا وإجلالًا لتلك الجهود التي بذلها النحاة في جمع شواهد اللغة، وهي جهود تبيّن المنحى العلمي الرائد الذي اعتمده النحاة في التأليف المبني على جمع المنطوق والمتداول بين المتكلمين باللغة، وليس على أوهام أو نظريات مدّعاة.

ويلاحظ أنّ الشواهد التي وظّفها النحاة في كتبهم يمكن تصنيفها وفق اعتبارات متنوعة، فبالنظر إلى طبيعة صياغة الشواهد ونوعها الأدبي، فإنّها تقسّم إلى: شواهد شعرية وأخرى نثرية، بينما تقسّم من حيث المصدر إلى: شواهد قرآنية، وحديثية، وما أُخذ عن العرب شعرًا ونثرًا، ومن جهة أخرى يمكن تقسيم الشواهد وفق المجال أو الموضوع الذي استشهد بها فيه إلى شواهد نحوية، وشواهد صرفية¹⁶، كما تقسّم الشواهد حسب صحّتها: إلى شواهد صحيحة منسوبة إلى قائل يحتج بلغته، والاستشهاد بهذا النوع يعدّ من أعلى درجات الاستشهاد لثبوت الشاهد وعدم القدرة على الطعن فيه، وشواهد مجهولة لا يعرف قائلها على وجه التحديد، وهي قليلة، وهذه الشواهد تتفاوت في

Al-Tahnawi, Muhammad ibn Ali. 1996. Kashaaf Istilahat ALfunoon, Edited by: Ali Dahrooj, Beirut, Maktabatu Lebanon , VI.2.p.2 13

Abu Almakarem, Ali. 2006. Usool Atafkeer Anhwee, Cairo: Dar ghareeb. 219 14

Jabal, Mohamed Hasan. 1986. ALihtijaj Biashiaari Fi ALugati, Cairo, Dar ALfiker ALarabi. 47 15

Jabr, Yahya Abdel Raouf. 1992. Ashahidu Alugawiau, Nablis: Al Najah Research Journal, vol. 2, No. 6, p.265-277 16

درجة الاعتماد عليها، وأمّا النوع الثالث منها: فهي الشواهد المصنوعة، وهي أبيات شعرية قيل إنّ بعض النحاة صنعوها لإثبات آرائهم ولم تثبت، وهي قليلة جداً¹⁷.

4. التمثيل النحوي

(م ث ل) " جذر صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُنَاطَرَةِ الشَّيْءِ لِشَيْءٍ أَوْ الْمَشَابَهَةِ لَهُ. فَيَقَالُ: هَذَا مِثْلُ هَذَا، أَيْ نَظِيرُهُ وَشَبِيهِهِ، وَالمِثَالُ فِي اللُّغَةِ هُوَ المِقْدَارُ وَالمَقَالِبُ وَالنَّمُودَجُ الَّذِي يُوَضِّعُ مِثَابَهًا لِغَيْرِهِ¹⁸، يُقَالُ: مِثَّلَ المَعْلَمَ لِطَلَابِهِ بِمِثَالٍ، أَيْ: أُوْرِدَ لَهُمْ نَمُودَجًا مِثَابَهًا لِقَاعِدَةٍ مَعِينَةٍ تَعِينُهُمْ عَلَى الفَهْمِ، فَالتَّمثِيلُ هُوَ: إِبْرَادُ النَّمَاذِجِ المِثَابَهَةِ لِقَاعِدَةٍ بِقِصْدِ الشَّرْحِ وَالتَّوَضِيحِ، وَتَسَمَّى هَذِهِ النَّمَاذِجُ بِالأَمْتَلَةِ. وَالتَّمثِيلُ فِي النُّحُو: مَا كَانَ يُورِدُهُ النُّحَاةَ مِنْ أَمْتَلَةٍ يَصُوغُونَهَا وَيَصْنَعُونَهَا لِلبَيَانِ وَالإِيضَاحِ¹⁹.

ويعرّف (المثال) في الاصطلاح النحوي بأنه: " الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم المستفيد، كما يقال: الفاعل كذا ومثاله (زيد) في (ضرب زيد)"²⁰، ومن هذا يفهم أنّ المثال: ما كان يصوغه أو يصنعه النحوي من كلامه لشرح القواعد وتوضيحها للدارسين، فهي مثل الشواهد أي شبيهة بها توضحها وتشرحها، ولهذا سمي بالمثال المصنوع تمييزاً له عن الشواهد النحوية التي يستشهد بها لإثبات القواعد وتقريرها اطراداً أو شدوذاً أو جوازاً، ويكون مصدرها القرآن أو الحديث الشريف، أو كلام العرب: شعره ونثره، وتسمى عملية إيراد الأمثلة المصنوعة في الكتب النحوية بالتمثيل.

ومن ذلك قول سيبويه: " والنصب في الأسماء: رأيتُ زيداً، والجر: مررتُ بزيدٍ، والرفع: هذا زيدٌ"²¹ فيلاحظ أنّ سيبويه أورد أمثلة صنعها وصاغها تمثيلاً لحالات الإعراب المختلفة.

وقد استخدم النحاة التمثيل أداة يتكئون عليها لتوضيح القواعد النحوية وتثبيتها وشرحها على هدي المسموع من كلام العرب. فهي شرح للقواعد النحوية، دون أن تكون مصدرًا لها، فإذا كان الاستشهاد عند النحاة مادته الشواهد: قرآنًا، وأحاديث نبوية، وشعرًا ونثرًا، ومنها وحدها تستنبط القواعد فهي مصدر التقعيد النحوي، ومعيار الصواب والخطأ، فإنّ التمثيل مادته الأمثلة النثرية التي كانوا يصوغونها إيضاحًا للقواعد النحوية وشرحًا لها²².

وتكمن أهمية الأمثلة المصنوعة في أنّها قد تكون في حقيقتها مسموعة في كلام العرب، أو أنها مصنوعة وفق المسموع من كلامهم، فهذه الأمثلة وإن كانت مما صاغه سيبويه إلا أنها جارية في كلامهم، أو هي وفق ما يجري في كلامهم.

ومن ناحية أخرى فإنّ الأمثلة المصنوعة في المراحل الأولى للتأليف كانت دائمًا من النثر²³، وليست شعرًا، ولعلّ هذا جعلها أقرب إلى واقع اللغة وطبيعتها، لأنّ أكثر ما يتداوله الناس من اللغة في حياتهم هو النثر لا الشعر، وهذا سهّل عملية التعلّم لأبواب النحو المتنوّعة، فكانت تلك الأمثلة معينة للمتعلمين على فهم الشواهد النحوية، ومساعدة لهم أيضا على فهم القواعد النحوية الجارية في تلك الشواهد، وهو ما أعطى لتلك الأمثلة قيمة عالية لا تقلّ عن قيمة

17 انظر: Jabr, Yahya Abdel Raouf. 1992. و Jumaa, Khaled Abdel-Karim. 1989. Shawahid Ashiari Fi Kitabi Sibawayhi, Egypt, Dar al-Sharqiya. 307-314
Ashahidu Alugawiau, Nablis: Al Najah Research Journal, vol. 2, No. 6, p.275-277

Ibn Fares, Abu Al-Hussein Ahmed. 1979. Makayaesu Alugati. Edited by: Abd Assallam Haroon. Damascus: Dar al-Fikr. VI.5p.296-297 18

Eid, Mohammed. 1988. Alistishaadu Wlihtijaju Bi Alugati, Cairo, Alam Alkutub. 86 19

Al-Tahnawi, Muhammad ibn Ali. 1996. Kashaaf Istilahat ALfunoon, Edited by: Ali Dahrooj, Beirut, Maktabatu Lebanon. VI.3p.447 20

Sibawayhi. Abu Beshar. 1983. Kitabu Sibawayhi. Edited by: Abd Assallam Haroon. Cairo: Maktabatu Alkhaniji. VI.1p.14 21

Abu Almakarem, Ali. 2006. Usool Atafkeer Anhwee, Cairo: Dar ghareeb. 2019 انظر: 22

23 الأمثلة النحوية الشعرية ظهرت في مرحلة التأليف اللاحقة مثل: ألفية ابن معطٍ، وألفية ابن مالك، وألفية السيوطي.

الشواهد النحوية نفسها، وجعل التمثيل بالأمثلة المصنوعة مصدرًا من مصادر الاستدلال النحويّ تاليًا للشواهد النحوية في الأهمية.

5. الفرق بين الأمثلة المصنوعة والشواهد النحوية

لعلّ ما أورده البحث حول مفهومي الاستشهاد والتمثيل يصلح لأن يكون أساسًا لإبراز الفروق بين الشواهد والأمثلة المصنوعة، فالشواهد مصدرها الناطقون باللغة في البيئات العربية التي يحتج بكلامها، وهي القبائل التي سلمت لغتها من الاختلاط، كقيس وتميم وأسد، وغيرها من القبائل التي حافظت على فصاحتها²⁴، وجلّ هذه الشواهد يقع في الفترة الممتدة من العصر الجاهليّ، وحتى نهاية منتصف القرن الثاني الهجري، وأمّا المثال المصنوع فمصدره النحاة، وقد صاغوه وفق حاجتهم إلى الشرح والتوضيح اعتمادًا على ما استنبطوه من قواعد.

والشواهد النحوية أيضًا سابقة على القواعد النحوية وحجة عليها، منها تستنبط القواعد وبها تثبت، فقيمتها عالية، ولذلك حرص النحاة على جمعها، وأمّا الأمثلة المصنوعة فهي شرح وإيضاح للقاعدة وتمثيل لها يقوم به النحويّ نفسه، مما يعني أنها لاحقة للشواهد ومستنبطة منها.

كما أنّ الشواهد النحوية تعبر عن طبيعة الحياة التي عاشها الناطقون بها في البيئات العربية المتنوعة، ابتداءً من العصر الجاهلي، وحتى نهاية عصر الاحتجاج اللغوي، بينما نلحظ أنّ الأمثلة المصنوعة يغلب عليها طبيعة الحياة التي عاش فيها النحويّ، فهي أكثر تناغمًا وروح العصر الذي قيلت فيه؛ نظرًا لأنّ النحوي يهدف منها للتعليم والشرح والتوضيح، فغالبًا ما تكون مبسطة واضحة قريبة من العصر الذي قيلت فيه، وتعكس الثقافة السائدة فيه.

ومن أهمّ الفروق بين الشواهد والأمثلة المصنوعة أيضًا، تنوّع أشكال الشواهد النحوية فتكون: قرآنًا أو حديثًا، أو شعرًا أو نثرًا كالحكم والأمثال، فيما لا تكون الأمثلة المصنوعة إلا نثرًا مما يصوغه النحويّ شرحًا وتوضيحًا للظواهر اللغوية المتنوّعة.

6. الاستشهاد النحوي في كتاب سيبويه

اعتمد سيبويه في كتابه على الاستشهاد القائم على السماع وبنى كتابه عليه بشكل أساسي، وهذا يتفق والمنهج العلمي في استقرار ظواهر اللغة واستنباط قواعدها، ولهذا فقد حرص كما يظهر في كتابه على أخذ الشواهد النحوية من مصادرها ممن يحتج بكلامهم من العرب في عصره، أو أخذها من أساتذته الذين سمعوا من العرب مباشرة، وثمة عبارات كثيرة وردت في كتابه تؤكّد سماعه المباشر لظواهر اللغة المختلفة، كقوله: هذا كله سُمع عن العرب (1: 147)، وقوله: سمعنا من يوثق بعربيته (1: 55)، وقوله: وقد سمعناهم يقولون (1: 60)، وحَدَّثنا يونس أن العرب تنشد هذا البيت (1: 155)، فكل هذه العبارات وغيرها مما ورد في كتابه²⁵ تؤكد أنّ سيبويه كان يتوخّى أعلى درجات الموضوعية في استشهاده بالشواهد التي يوردها. وشمل استشهاد أنواع الشواهد الآتية: 0)

Al-Farabi, Abu Nasr. 1990. Kitaabu Alhuroof, Edited by: Mohsen Mahdi Lebanon: Dar al-Mashreq. 147 24

25 انظر: ج 2: 92، 152، 155، 164، ج 3: 140، 135، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

1.6 القرآن وقراءاته

استشهد سيبويه بالقران وقراءاته في كتابه، فكان يورد ذلك مستأنساً أو مؤكّداً أو مقرّراً لما يذكره من القواعد²⁶، مما يعني أن الشواهد القرآنية قد نالت عناية واهتماماً واضحاً من سيبويه، فكانت من المصادر الأساسية التي استنبط منها قواعد اللغة، وهي لا تقل في كتابه عن ثلاثمائة وستة وتسعين شاهداً، ويزيد هذا العدد إذا تمّ إضافة الآيات التي تكرّر ورودها في مواضع متعدّدة.

وبالنظر في المواضع التي استشهد فيها بالقران يلحظ أنّه كان في الغالب يقدم الاستشهاد بالقران الكريم، ثمّ يأتي بالشعر بعده²⁷، وربما كانت شواهد في المسألة من القران الكريم، من ذلك ما أورده في بيان أنواع (علم) فنجه يستشهد في هذه المسألة بما ورد في القران فحسب (1: 40)، وإذا تعددت الشواهد من القران، استشهد ببعضها، ثمّ يقول: وهذا في القران كثير (1: 89)، ومع تقديمه في الأغلب للقران بما يستشهد به، فإننا نجد أحياناً يبدأ بالشعر ثمّ يأتي بالآية (1: 432)، وهذا من باب التنوع في أساليب الاستشهاد بحسب ما يقتضيه الحال.

2.6 الحديث الشريف

للحديث الشريف منزلة مهمة بعد القران، فكان هذا سبباً في الاهتمام بروايته وتدوينه، وعلى الرّغم من هذه الأهمية فإنّ كثيراً من النّحاة لم يعتمدوه أصلاً من الأصول التي تستنبط منها القواعد وتقرّر به الأحكام، فإذا ما استشهد بالحديث في الكتب النّحوية فإنّما يكون تقوية لما يستشهد به من قران أو كلام للعرب، دون أن يكون مقصوداً عليه في الاستشهاد أو الاحتجاج، أو مصدرًا لاستنباط حكم نحوي، ويبدو أنّ من أسباب قلة الاستشهاد بالحديث، راجع إلى أنّ بعض الأحاديث رويت بالمعنى دون اللفظ، ووقوع اللحن فيها لأن بعض الرّواة كانوا أعاجم.

وفيما يتعلّق باستشهاد سيبويه بالأحاديث النبوية في كتابه، فالملاحظ قلّة الأحاديث الواردة فيه، فهي ثمانية أحاديث ذكرها دون أن ينصّ على نسبتها إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم²⁸، ولعلّ ذلك راجع إلى حرصه أن لا ينسب إلى الرسول ما لم يقله، إذ لم تكن كتب المسانيد الحديثية قد ظهرت بعد، إضافة إلى أنّ كلام الرسول جارٍ على ما نطقت به العرب، فأراد أن يسوّي بين كلامه وبين ما نطقت به العرب تأكيداً على فصاحته.

3.6 كلام العرب شعراً ونثرًا

استشهد النّحاة بكلام العرب: شعره ونثره، وحرصوا كل الحرص على جمعه، وقد نال الشعر اهتمام النّحاة وعنايتهم، فأكثروا من الاستشهاد به في كتبهم؛ فالشعر ديوان العرب، وسجلّ مآثرهم، فيه سجّلوا سلمهم وحرّهم، وحلّهم وترحالهم، ومدحهم وهجاءهم، ولذلك كان حافلاً بلهجاتهم ومستوياتهم اللغوية المتداولة، وهو قمة بلاغتهم وما وصلوا إليه من فصاحة في جاهليتهم، وهو فوق هذا وذاك محفوظ يتناقلونه بينهم، يحفظه الكبير والصّغير، ويمثّل سمة مشتركة بينهم، وهو نقيّ مما يصيب اللغة التي يتداولها الناس في حياتهم اليومية، كلّ هذا هيئاً لأن يكون الشعر هو المصدر الأوّل الذي استقى النّحاة منه شواهدهم، واستنبطوا منه قواعدهم وأحكامهم النّحوية.

Hadithi, Khadija. 1974. Ashahid Wausool Anhwī Fi Kitabi Sibawayhi. Kuwait University Press. 31 26

27 انظر أمثلة لذلك : الكتاب، ج1: 37، 56، 58، 150، 336

Sibawayhi. Abu Beshir. 1983. Kitabu Sibawayhi. Edited by: Abd Assallam Haroon. Cairo: Maktabatu Alkhaniji. VI.5p29 28

وأما النَّثر²⁹ فقد كان أقلَّ حضورًا في الكتب النحوية، وأكثر ما استشهد به من النثر هو من الحكم والأمثال والأقوال السائرة، لأنها جمل قصيرة تدور على الألسنة، ويسهل تداولها وحفظها، وأما الخطب والرسائل فلم يستشهد بها في تفعيد القواعد واستنباطها على الرغم من شهرة العرب بالخطابة؛ لأنها لم تعلق بالأذهان كالشعر والحكم والأمثال، ولذلك خرجت عن اهتمام النحويين واستشهادهم.

ويلحظ أنَّ سيبويه استشهد بشواهد شعريّة كثيرة، جاء معظمها منسويًا إلى قائله، وقليل منها غير منسوب، فسبويه لم يكن في كتابه معنيًا بنسبة شواهده لنقته فيمن أخذ عنهم هذه الشواهد، فلم يذكر في كتابه إلا ما ثبت عنده عن يوثق بفصاحته، قال الجرمي: " نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتًا، فأما الألف فعرفت أسماء قائلها، وأما الخمسون فلم أعرف قائلها"³⁰.

وعدم نسبة هذه الشواهد إلى قائل لا يقلل من قيمة الاستشهاد بها، لاعتماد سيبويه في أخذها على السماع من أفواه العرب فهي سائرة على ألسنتهم، كما أنه كان يعرض هذه الشواهد على أساتذته كالخليل ويونس، وهذا يدل دلالة واضحة على أن شواهده كانت موثقة لدى علماء عصره، معتمدًا عليها في استنباط قواعد اللغة³¹. وبالنسبة للنثر فلم يكثر سيبويه من الاستشهاد به، إذ استشهد بواحدٍ وأربعين مثلًا وقولًا سائرًا في مواضع متفرقة في كتابه، ومع ذلك فقد كانت مصدرًا مهمًا من المصادر التي استقى سيبويه منها مادة كتابه³².

ويستخلص من هذه كلّها أنَّ سيبويه قد وظّف في كتابه أنواعًا متنوّعة من الشواهد النحويّة للاستشهاد بها على ما أورده من قواعد لغوية، وهذا التنوع للشواهد بكل مستوياتها أعطى مصداقية عالية لما عرضه في كتابه، وأسّس لمنهجية علمية مُحكّمة إلى حدٍ كبير، على الرّغم من كلّ ما قد يوجّه إلى هذه المنهجية من نقد، إذ لا يكأف الله نفسًا إلا وسعها، واستكمالًا لهذه المنهجية الرصينة، فإنّ سيبويه لم يكتف بما أورده من شواهد، بل ردها بكثيرٍ من الأمثلة التي كان يصنعها بغرض الشرح والتوضيح لما استنبطه من قواعد. وهو ما يشير إلى البعد العلمي الذي اعتمده سيبويه سبيلًا في دراسته للغة وظواهرها المختلفة، فكان ذلك سببًا لنيل ثقة الدراسين بهذا الكتاب وبمنهجية صاحبه العلميّة.

7. غايات الاستشهاد بالشواهد النحوية

استشهد سيبويه بشواهد نحوية متنوّعة كثيرة في كتابه، وبالتدقيق في مواضع الاستشهاد التي وظّفت فيه هذه الشواهد يستخلص أنَّ سيبويه كان يستشهد بالشواهد النحوية للغايات الآتية:

- إثبات القواعد المطّردة الجارية في اللغة، وخاصة فيما يتعلّق بالأساليب اللغوية مثل: البذل (1: 151)، وباب الأمر والنهي (1: 137)، والإغراء (1: 253)، والمفعول المطلق (1: 228)، والمفعول معه (1: 297)، والمفعول لأجله (1: 367)، والنعت (1: 421)، والاختصاص (2: 233)، والتمييز (2: 172)، والترخيم (2: 239)، وإنّ وكسر همزتها (3: 142)، نون التوكيد الخفيفة والثقيلة (3: 508).

²⁹ الكلام الفصيح غير الموزون كالخطب والحكم والأمثال والوصايا ويكثر فيه السجع. انظر: Al-Labadi, Muhammad Sameer. Mujamu Almustalahaati Anhawiyati Wassariyati, Amman: Muassaatu Al-Resala. 217

³⁰ Al-Zubaidi, Muhammad ibn al-Hasan. 1973. Tabagaat Anhwain Wlugaween, Edited by: Muhammad Abu al-Fadl, Cairo: Dar al-Ma'arif. 75

³¹ انظر: Jumaa, Khaled Abdel-Karim. 1989. Shawahid Ashiaari Fi Kitabi Sibawayhi, Egypt, Dar al-Sharqiya. 363-266

³² Al-Mari. Shawqi. 2002. Alamthal Fi Kitabi Sebwayeh, Journal of Arab Heritage, Damascus: Itihad Alkutab Alarab. Vol. 86, 87 p 309.

- تفصيل القواعد وإيراد القواعد الفرعية المتصلة بالقاعدة الأصلية، أو ما يخالفها، وما يأتي متعدد الوجوه بحسب اللغات واللهجات. وأغلب الاستشهاد في كتابه مبني على هذا فهو يفصل من خلاله القواعد المستنبطة تفصيلاً يستقصى كل دقائقها وتفرعاتها مفسراً لما ورد مخالفاً على ضوء القاعدة.

ومن ذلك ما استشهد به حين قال:

وقال مُزاحم الغفيلي : وقالوا تَعَرَّفَها المنازلَ من مِنىَ وما كلُّ مَنْ وافى مِنىَ أنا عارفٌ فأشار إلى إنَّ هذا الشاهد يُروى برفع (كلُّ) : وما كلُّ مَنْ وافى مِنىَ أنا عارفٌ لزم اللغة الحجازية فرفع، كأنه قال: ليس عبد الله أنا عارف (1: 72). ومن ذلك أيضاً قوله في باب ما ينتصب في الخبر حين استشهد بقوله تعالى: "قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"³³ فأشار إلى أنَّ (خالصة) تُقرأ بالرفع على الخبرية، والنصب على أنها حال. ومثل هذا كثير في كتابه³⁴.

وفي تقديري فإنَّ هذا يدلُّ على أعلى درجات الموضوعية العلمية في تسجيل الظواهر اللغوية السائدة جميعها، مما يعني أنَّ الاستقراء لم يكن مقصوراً على لهجة دون أخرى، بل شمل كل ما تداوله الناطقون باللغة ممن يحتج بكلامهم.

- زيادة الشرح والتعليل بحسب ما يصيب الكلام من حذف أو تقديم وتأخير. من ذلك ما استشهد به في قول قيس بن الخطيم: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلفٌ أوردته استشهاداً على ما يجوز من الحذف في الكلام، والمراد: (نحن بما عندنا راضون) فحذف خبر المبتدأ الأول اكتفاء بخبر المبتدأ الثاني (1: 75).

- بيان القليل المتعلق بالضرورات. فقد أكثر سيبويه في الاستشهاد بالشواهد التي جاءت لبيان القليل والناذر الذي يرد خارجاً عن القواعد، وخصوصاً بضرورات الشعر كما فعل في باب هذا ما يحتمل الشعر حيث يستشهد بقول العجاج: قواطئاً مكةً من وُرُقِ الحمى... يريد الحمام (1: 26) ثم يستشهد بعده بعدد من الشواهد تبين بعضاً من الضرورات التي تجوز في الشعر، ولا تجوز في غيره. ومن ذلك أيضاً ما استشهد به على تقدم الاسم على الفعل بعد (إنَّ) الجازمة، كما في قول الشاعر: عاودُ هَراةَ وإنَّ معمورُها خَرباً (3: 112). فالأصل وإن خرب معمورها.

واعتماداً على ما تقدم ذكره يمكن القول إنَّ الاستشهاد بالشواهد النحوية في كتاب سيبويه كانت غاية إثبات الاستعمالات اللغوية واستقصاؤها، واستخلاص القواعد وتفرعاتها المختلفة، وصور الاستعمال اللغوي للقواعد النحوية بين الناطقين باللغة، ولذلك وردت شواهد كثيرة تسجل اللهجات المتداولة آنذاك، والتي كانت تسجل خروجاً عن الأصل المطرد للقاعدة النحوية.

8. التَّمثيل في كتاب سيبويه

يمكن القول باطمئنان إنَّ سيبويه من أوائل النحاة الذين استشعروا أهمية التمثيل في النحو باعتباره وسيلة لشرح القواعد وتوضيحها، ولعلَّ ما يؤكد هذا تداول النحاة اللاحقين لأمثلة سيبويه وجمله كما أوردتها في كتابه، فضلاً عن اقتفاء طريقته في التمثيل باستعمال الأفعال والأسماء نفسها التي كان يوردها في أمثلته.

³³ القرآن الكريم، سورة الأنعام 139

³⁴ انظر المواضع الآتية: كتاب سيبويه 66-69، ج2: 62-65، 75، 84، 85، 281، Sibawayhī. Abu Beshar. 1983. VI.1p:

وتظهر الأمثلة النحوية التي كان يوظفها في كتابه أنه كان حريصًا على صياغتها على غرار ما نطقت به العرب في كلامها، فكان من أوائل من استخدم التمثيل في النحو بشكل واضح محدد مقصود، فلا يكاد يخلو باب من أبواب كتابه مما صاغه وصنعه من الأمثلة الممثلة للغة وقواعدها، وسيورد البحث نماذج من الأمثلة المصنوعة التي كان سيبويه يصوغها في معرض شرحه للقواعد النحوية:

(عينة من الأمثلة المصنوعة في كتاب سيبويه)

المثال المصنوع	الموضوع
فالكلم: اسم، وفعلٌ، وحرفٌ... فالاسم: رجلٌ، وفرسٌ، وحائطٌ (1: 12)	أنواع الكلم
فأما بناء ما مضى: فذهبَ وسمعَ ومكثَ وحمدَ. (1: 12)	الفعل الماضي
وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمرأ: اذهبَ واقتلْ واضربْ (1: 12)	فعل الأمر
ومُخبراً: يَقتلُ ويذهبُ ويضربُ، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن (1: 12)	الفعل المضارع
والأحداث نحو: الضربُ والحمدُ والقتلُ (1: 12)	المصدر
وذلك قولك: أفعل أنا، وتفعل أنت أو هي، ويفعل هو، ونفعل نحن (1: 13)	حروف المضارعة
والنصب في الأسماء: رأيت زيدا، والجر: مررت بزيدا، والرفع: هذا زيد. (1: 14)	أحوال الاسم
والنصب في المضارع من الأفعال: لن يفعل، والرفع: سيفعل، والجزم لم يفعل. (1: 14)	إعراب المضارع
وإنما ضارعت أسماء الفاعلين، إنك تقول: إن عبد الله ليفعل، فيوافق قولك: لفاعلٌ، كأنك قلت: إن زيدا لفاعلٌ. (1: 14)	مشابهة المضارع لاسم الفاعل
فأما العلامة اللازمة المختصة فنحو: زيد وعمرو، وعبد الله (2: 5)	العلم
فنحو قولك: هذا أخوك، ومررت بأبيك... (2: 5)	المضاف إلى المعرفة
فنحو: الرجل والفرس والبعير... وإنما صار معرفة لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته، لأنك إذا قلت: مررتُ برجل... لا تريد رجلا بعينه. (2: 5)	المعرّف بالألف واللام
اعلم أنّ هذه الأفعال لها حروف تعمل فيها فتنتصها،... وهي: أن، وذلك قولك: أريدُ أن تفعلَ، وكى، وذلك قولك: جئتكَ لكي تفعلَ. ولن. (3: 5)	ما ينصب المضارع
وأما اللام في قولك: جئتكَ لتفعلَ، فبمنزلة إن في قولك: إن خيرا فخيرٌ، وإن شرا فشرٌ. إن شئت أظهرت الفعل ههنا وإن شئت خزلته وأضمرته. وكذلك أن بعد اللام. (3: 7)	إظهار أن الناصبة للمضارع أو إضمارها بعد لام التعليل
فالأفعال من هذا تكون... على ثلاثة أبنية: على فَعَلْ يَفْعُلُ، وفَعَلْ يَفْعَلُ، وفِعَلْ يَفْعَلُ، ويكون المصدر فَعَلًا، والاسم فاعِلًا. فأما فَعَلْ يَفْعُلُ ومصدره: فَعَتَلْ يَفْعُتُلُ قَتَلًا، والاسم قاتِل. (4: 5)	بناء الفعل المتعدي فَعَلْ يَفْعُلُ

بناء الفعل المتعدي فَعَلَ يَفْعُلُ	وأما فَعَلَ يَفْعُلُ فنحو: ضربَ يَضْرِبُ ضَرْبًا وهو ضَارِبٌ. (4: 5)
بناء الفعل المتعدي فَعِلَ يَفْعُلُ	وأما فَعِلَ يَفْعُلُ ومصدره والاسم فنحو: لحسه يَلْحَسُهُ لَحْسًا وهو لَاحِسٌ... وشربه يَشْرِبُهُ شَرْبًا وهو شَارِبٌ. (4: 5)

وتظهر العينة المذكورة من الأمثلة المصنوعة في الجدول السابق أنّ غاية سببويه من صياغتها هو الشرح والتوضيح والتعليل للقواعد النحوية والصرفية بصورة مبسّطة، وهي مع بساطتها تعبّر عن فهمه العميق للظاهرة النحوية كلّها، ولذلك كان يصوغها معتمدًا على المسموع من كلام العرب، أو منسوجة على نحو مطابق لما سمع من أفواه من يحتج بكلامهم.

وتبيّن العينة أيضًا أنّ سببويه حرص على استعمال الأفعال المحسوسة القريبة من الفهم في أمثله، مثل: ضرب، وشرب، وقتل، وذهب، وسمع، ومرّ، وفي تقديري أنّ هذه الأفعال أقرب إلى التعبير عن الظاهرة النحوية لدلالاتها المحسوسة المباشرة التي لا تحتاج إلى تخيل أو إعمال عميق للعقل يحول دون التركيز على المعلومة التي يوردها النحويّ، فأقرب الأفعال قربًا من إدراكنا هي التي نتلقاها بحواسنا، كما أنّ هذه الأفعال والكلمات تتيح للمتعلم أن يفهم العلاقات بين أركان الجملة، ويربط بين هذه العلاقات على نحو واضح وليس متخيلاً.

وسببويه في هذا يعدّ رائدًا من أوئل النحاة الذين وظّفوا المثال المصنوع في مجال التأليف النحويّ، وقد أشار علماء النفس العرّفانيون أنّ أحسن الأمثلة هي التي تعبّر عن مقولتها بشكل واضح وسموا تلك الأمثلة بالطّرازات³⁵. ويلاحظ أيضًا أنّ سببويه يكثر من إيراد أسماء وكلمات بعينها في أمثله المصنوعة، مثل: (زيد، وعمرو، وعبد الله، وأخيك، ورجل، والمسلمين)³⁶، ويبدو أنّ ذلك راجع لخفة هذه الكلمات فمعظمها كلمات ثلاثية تظهر على آخرها الحركات الإعرابية المختلفة ولا تكون مقدّرة، وهذا دأبه في معظم ما مثّل به من أمثلة مصنوعة في كتابه.

1.8 غايات التمثيل بالأمثلة المصنوعة

لا يكاد يخلو باب من أبواب الكتاب من التمثيل بالأمثلة المصنوعة، والغاية الأساسية لذلك الشرح والتوضيح للقواعد النحوية، ولكن هذا لا يمنع من وجود غايات أخرى يمكن بيانها على النحو الآتي:

- التمثيل بالأمثلة المصنوعة للقواعد النحوية المطّردة، وهذا كثير واضح في جميع أبواب كتابه، إذ غالبًا ما يبدأ الباب بذكر الأمثلة المصنوعة التي تعبّر عن القاعدة النحوية وتشرحها. ففي معرض حديثه عن الفعل اللازم يمثّل لذلك فيقول (1: 33، 34): فأما الفاعل الذي لا يتعدّاه فعله فقولك: ذهبَ زيدٌ وجلسَ عمروٌ، والمفعول الذي لم يتعدّه فعله ولم يتعدّ إليه فعل فاعل فقولك: ضربَ زيدٌ ويضربُ عمروٌ". ومن ذلك قوله في باب الحروف التي تضمّر فيها (أن)، وذلك اللام التي في قولك: جئتكَ لِتفعل. وحتىّ، وذلك قولك: حتّى تفعل ذلك. فإنما انتصب هذا بـ(أن)، وأن هنا مضمرة، ولو لم تضمرها لكان الكلام محالًا، لأنّ اللام وحتىّ إنما يعملان في الأسماء فيجران (3: 5، 6).

Qurira, Tawfiq. 2016. Al-Quds Al-Arabi, Limaza Darab Zayidun Amran, vol. 27, no. 8389, March p.13 <http://www.alquds.co.uk/?p=496078> 35

³⁶ انظر: سببويه، الكتاب. 1: 14، 16، 17، 18، 21، 23، 24، 98، 101، 142، 246، 356، 440، 2: 5، 6، 7، 8، 12، 3: 5، 7، 10، 11، 12، 15، 4: 10

ومثل ذلك قوله في باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها... وذلك قولك: لِيَفْعَلْ، ولا في التَّهْيِ، وذلك قولك: لا تَفْعَلْ، فإنما هي بمنزلة لم (3: 8). وهذا كثير في الكتاب³⁷.

- التمثيل بالأمثلة لبيان تعدد وجوه الكلام الجائزة، كقوله (1: 69): وتقول ما زيدٌ كعمرو ولا شبيهاً به، وما عمرو كخالدٍ ولا مفلحاً، النصب في هذا جيد... فإن أردت أن تقول ولا بمنزلة من يشبهه جررت، وذلك قولك: ما أنت كزيد ولا شبيهه به، فإنما أردت ولا كشيء به". ويقول (1: 79): وقد يجوز ضربتُ وضربني زيداً؛ لأنَّ بعضهم قد يقول: متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً، والوجه متى رأيتُ أو قلتُ زيداً منطلقاً. فسيبويه يوظف التمثيل هنا لاستقصاء الوجوه الجائزة والممكنة للكلام وفقاً للمنطوق ويمكن ملاحظة هذا في مواضع كثيرة في كتابه³⁸.

- التمثيل بالأمثلة للضعيف والشاذ والقيح، كقوله (1: 127): "فإن قلت: زيدٌ كم مرةً رأيتُ، فهو ضعيف... كما ضعف في قوله: كلُّه لم أصنع". وقوله: (1: 126): "وإن قلتُ أيهم زيداً ضرب قَيْح، كما يقبح في متى ونحوها، وصار أن يليها الفعل هو الأصل"³⁹. وقوله (1: 70): "لو قلت كانت زيداً الحمى تأخذ أو تأخذ الحمى لم يَجْزُ وكان قبيحاً".

- التمثيل بالأمثلة المصنوعة لما يناقض القاعدة فلا يجوز استعماله، كقوله في تقدّم معمول ما الحجازية (1: 71): "ولا يجوز أن تقول: ما زيداً عبدُ الله ضارباً، وما زيداً أنا قاتلاً؛ لأنه لا يستقيم كما لم يستقم في كان وليس". وكقوله أيضاً (1: 63): "وإذا قلت: ما زيدٌ منطلقاً أبو عمرو، وأبو عمرو أبوه، لم يجز". فسيبويه في مثل هذه المواضع يستقصي ما لا يجوز استعماله لمخالفته للقواعد من خلال الأمثلة المصنوعة التي يصوغها⁴⁰.

- التمثيل بالأمثلة المصنوعة لبيان البنية العميقة للتركيب (Deep Structure) فلا يتكلم به، وغاية سيبويه من التمثيل هنا إزالة الغموض الذي يصاحب بعض الشواهد اللغوية، وطريقة تكوينها اللغوي، فسيبويه بإحساسه اللغوي العميق كان يدرك البنية العميقة للتراكيب اللغوية الجارية على ألسنة الناس، فيلجأ لشرح ذلك وتوضيحه، وهو عندما يفعل ذلك يؤكد أن هذا من باب التمثيل والشرح المتصوّر للتركيب فلا يجوز استعماله. وغالباً ما يشير سيبويه إلى هذا بأحد الأقوال الآتية: "هذا تمثيل ولم يتكلم به" (1: 72)، و"كأنك قلت إذا مثلت (1: 83)، و"ولكن أردت أن أمثل لك" (1: 300)، و"تمثيل ولا يتكلم به" (1: 312)، و"تمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام" (1: 353)، و"تمثيل وإن كان يقبح في الكلام" (2: 19)، و"تمثيل ولكنه لم يستعمل" (1: 374)، و"تمثيل ولكنهم لا يتكلمون بها" (2: 281)، و"لأمثل لك" (2: 348)، و"إنما ذكرت ذلك للتمثيل" (2: 387).

وفي هذا النوع من التمثيل بالأمثلة يبدأ سيبويه بذكر المثال أو التركيب كما يبدو في الاستعمال اللغوي المنطوق، وهو ما يعرف بالبنية السطحية (Surface Structure)، ثم يبدأ بتوضيح البنية العميقة المتصورة للتركيب وما رافق ذلك من تحويل وانحراف عن البنية العميقة، وصولاً للبنية السطحية المستخدمة بين الناطقين باللغة.

ومن أمثلة ذلك قوله (1: 83): "وإن شئت قلت: زيداً مررتُ به... كأنك قلت إذا مثلت ذلك: جعلتُ زيداً على طريقي مررت به، ولكنك لا تظهر هذا الأول..... وإذا نصبت: زيداً لقيتُ أخاه، فكأنه قال: لا بستُ زيداً لقيتُ أخاه، وهذا تمثيلٌ ولا يتكلم به". ومن ذلك أيضاً ما مثل به لأسلوب التعجب حين قال (1: 72): وذلك قولك: ما أحسنَ عبدَ

³⁷ انظر المواضع الآتية في الكتاب: ج: 1، 12، 13، 14، 16، 33، 35، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 47، 4: 232

³⁸ انظر، سيبويه، الكتاب: ج: 1، 84، 85، 87، 90، 91، 92، 97، 98، 101، 105، 126

³⁹ انظر المواضع الآتية: سيبويه، الكتاب: ج: 1، 62، 76، 80، 99، 106، 107، 124، 125، 126، 135، 136، 144، 298

⁴⁰ انظر أيضاً المواضع الآتية: سيبويه، الكتاب: ج: 1، 63، 73، 130، 132، 399

الله! وهي تمثل البنية السطحية لأسلوب التعجب، وقد بين سيبويه أنّ البنية العميقة لهذا الأسلوب هي: شيء أحسن عبد الله، أي: جعله حسناً. ولهذا دخل معنى التعجب مبيّناً أن هذا التفسير إنّما هو تمثيل ولم يتكلم به بين الناطقين باللغة. ومن ذلك قوله في باب الأمر والتحذير، وذلك قولك إذا كنت تحذّر: إياك. كأنك قلت: إياك تحجّ، وإياك باعد، وإياك اتق، وما أشبه ذلك. ومن ذلك أن تقول: نفسك يا فلان، أي: اتق نفسك، إلا أنّ هذا لا يجوز فيه إظهار ما أضمرت، ولكن ذكرته لأمثال لك ما لا يُظهر إضماره.

وتظهر الأمثلة السابقة وغيرها مما كان يصوغه سيبويه للتمثيل بها على ما هو متصوّر فلا ينطق به، العمق الذي كان يتمتع به، والقدرة الفائقة على التحليل للجمل والتراكيب والأساليب اللغوية، فضلاً عن الدقة في الشرح والتحليل، مع إدراكه التام أن ما يقوم به إنما هو تحليل وتصوّر ذهني للمنطوق والمحسوس (الكلام) للوصول إلى فهم المعقول (النظام اللغوي)⁴¹.

والحق أنّ سيبويه قد أجاد في توظيف التمثيل بالأمثلة المصنوعة للتعبير عن فهم اللغة وشرح ظواهرها، وتسجيل ما يتداوله الناس فيما بينهم، رابطاً ذلك بالمعنى لتقريب تلك القواعد من أذهان المتعلمين والدارسين للغة.

9. منهج سيبويه في توظيف الاستشهاد بالشواهد والتمثيل بالأمثلة

قدّم البحث فيما مضى صورة عن الاستشهاد بالشواهد والتمثيل بالأمثلة في كتاب سيبويه، فبين أنّه أقام كتابه على هذين الركنين، انطلاقاً من البعدين العلمي والتعليمي للكتاب، وسيحاول البحث أن يبين في ما سيأتي المنهجية التي اختطها سيبويه لنفسه في توظيف الشواهد والأمثلة المصنوعة في كتابه. ولتحقيق هذه الغاية فقد كان لا بد من استقراء أبواب الكتاب لاستخلاص تلك المنهجية، واعتماداً على ذلك يلحظ أنّ سيبويه قد سلك مسلكين في التعامل مع الشواهد والأمثلة المصنوعة:

1.9 الجمع في بعض الأبواب بين توظيف الشواهد والأمثلة المصنوعة:

يبدأ سيبويه في هذه الحالة بذكر القواعد النحوية المطّردة، فيذكر الأمثلة المصنوعة التي تشرح هذه القواعد وتبسّطها للمتعلمين، ويغلب على هذه الأمثلة الطابع التعليمي المبسّط، ويستمرّ سيبويه في إيراد الأمثلة المصنوعة التي تمثل القاعدة، حتّى إذا استوى له ما يريد من توضيح وبيان للقاعدة النحوية، أخذ يسرد الشواهد النحوية التي تعمّق فهم المسألة النحوية، أو تبيّن صوراً فرعية منها ليحيط بالقاعدة النحوية إحاطة تامة، وتشكّل هذه المنهجية الغالب الأعمّ في كتاب سيبويه، وهي المراوحة بين المثال المصنوع والشاهد النحوي.

ففي "باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول" (1: 34) نجد سيبويه يبدأ هذا الموضوع بذكر الأمثلة المصنوعة التي توضح فكرة التعدّي، فيقول: وذلك قولك: ضرب عبد الله زيداً، فعبد الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب،... وانتصب زيدٌ لأنه مفعول تعدّى إليه فعل الفاعل"، ويستمرّ في استقصاء الاستعمالات اللغوية المطّردة للأفعال المتعدية، إلى أن يصل إلى بعض ما يخالف هذا الاطراد فيقول (1: 35، 36): "وقال بعضهم: ذهب الشّام،... وهذا شاذٌّ؛ لأنه ليس في ذهب دليل على المذهب والمكان، ومثل: ذهب الشّام، دخلت البيت، ومثل ذلك قول ساعدة بن جُوَيْة:

لَدُنْ بِهِزِ الكفِ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كما عسل الطّريق الثّعلب"

فسبويه لجأ هنا إلى إيراد الشاهد النحوي لما أراد أن يثبت ما سمعه من خروج على القاعدة، في استعمال الفعل اللازم متعدياً بإسقاط الجارّ وإيصال الفعل إلى مفعوله، فالأصل إن يقال: ذهبْتُ إلى الشام، وعسل في الطريق، حيث استعمل اللازم استعمال المتعدي بحذف حرف الجر.

وفي باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين، يبدأ سبويه بذكر الأمثلة المصنوعة تمثيلاً للقاعدة النحوية: "وذلك قولك: أعطى عبدُ الله زيداً درهماً، وكسوتُ بشراً الثيابَ الجيادَ" فهذه قواعد مطّردة في الاستعمال اللغوي الجاري على ألسنة النَّاسِ، وذلك لم يستشعر سبويه حاجة للاستشهاد لهذا الاستعمال بأي شاهد نحوي، ولكنه بعد ذلك يورد استعمالاً لغويّاً فيه خروج عن الأصل فيقول: "ومن ذلك: اخترتُ الرجالَ عبدَ الله" لأن (اخترت) فعل يتعدى إلى مفعول واحد بغير حرف الجر، وإلى الثاني بحرف الجر فإذا حُذِفَ حرف الجرّ تعدى إلى مفعولين، ثم يورد شاهداً قرآنياً مباشرة وهو قوله تعالى: "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا"⁴² ليثبت أنّ هذا الاستعمال "اخترتُ الرجالَ عبدَ الله" مما جرى في الاستعمال ويكون بحذف الجارّ وإيصال الفعل إلى المفعول مباشرة. ويعزز الشاهد القرآني بما ورد عن العرب ليثبت أنّ حذف حرف الجر ووصول أثر الفعل إلى الاسم جائز في لغة العرب؛ فيذكر مجموعة من الشواهد الشعرية مما ورد عن العرب في ذلك (1: 37): "ومنه قول الشاعر:

أَسْتَعْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

وثمة أهمية لإيراد الشاهد النحوي في مثل هذه الأحوال، لأنّ ذلك يقوي ما يذكره سبويه ويثبتته، ولا سبيل إلى ذلك إلا بذكر الدليل، وهو الشاهد النحوي المسموع في كلام العرب. فالشاهد كما هو مقرر "حجة النحوي في إثبات صحة القاعدة النحوية وتقريرها، أو تجويز ما جاء مخالفاً للقياس"⁴³.

ومثل هذا نجده في أبواب كثيرة من كتابه يرواح فيها بين التمثيل بالأمثلة المصنوعة والاستشهاد بالشواهد النحوية⁴⁴.

ويشير البحث هنا إلى أنّ منهج سبويه في توظيف الاستشهاد بالشواهد والتمثيل كان قائماً على البدء بالتمثيل قبل الاستشهاد، فيبدأ بذكر القاعدة النحوية من خلال ما يمثلها لها من أمثلة مصنوعة، وعندما يفصل القاعدة يبدأ بالاستشهاد بالشواهد توضيحاً واستدلالاً على صحة ما يذكره من تفصيل لتلك القاعدة.

وفي أحيان قليلة جداً قد يقتصر على الاستشهاد في الباب كله على الشواهد النحوية فلا يذكر أمثلة مصنوعة معها، كما فعل في "باب ما يحتمل الشعر"⁴⁵ إذ يقتصر في هذا الباب على الاستشهاد لأن طبيعة الباب تختص بالحديث عن الشعر وضروراته، فمن الطبيعي أن يكون الاستشهاد مقتصرًا على الشواهد دون الأمثلة المصنوعة. وواضح أنّ الجمع بين توظيف الأمثلة المصنوعة والشواهد يدلّ على أن سبويه كان حريصاً على بناء منهجية علمية صحيحة لعرض المسائل النحوية وشرحها، وأنّ هذه المنهجية لم تكن اعتباطاً بأي حالٍ من الأحوال، بل مقصودة كل القصد، وتنبئ عن فهم للأصول التي قام عليها النحو، ومنها: أنّ مَنْ تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل.

⁴² القرآن الكريم، الأعراف 155

Nayila, Abdul-Jabbar. Ash-Shawahid Walistishaad Fi Anhwī, Baghdad: Al-Zahraa Press. 21 43

⁴⁴ انظر المواضع الآتية في كتاب سبويه: ج1: 39، 40، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 56، 57 – 66، ج4: 216 – 235

⁴⁵ كتاب سبويه ج1: 26 – 32

فحين تكون الظاهرة اللغوية مطردة لا يتطلب ذلك إثباتاً لما هو واضح جار في المسموع، ولكن حين يكون هناك خروج عن الأصل اللغوي، ومخالفة لما هو مطرد كان لا بدّ من الاستشهاد على ذلك بإيراد الشواهد التي تجيز استعمالاً أو تنفيه. إذ إنّ العدول عن الأصل محتاج إلى إقامة الدليل، كما أنّ العدول عن الأصل والقياس والنقل من غير دليل لا وجه له.

2.9 الاكتفاء في بعض الأبواب بالتمثيل بالأمثلة المصنوعة

يلحظ في أبواب كثيرة من كتاب سيبويه أنّه اكتفى فيها بالأمثلة المصنوعة التي صاغها فحسب توضيحاً وشرحاً للقواعد النحويّة، فلم يذكر مع تلك الأمثلة المصنوعة أي شاهدٍ نحوي، ومن هذه الأبواب على سبيل المثال لا الحصر: أقسام الكلم (1: 12)، مجاري أواخر الكلم (1: 13)، والمسند والمسند إليه (1: 23)، واللفظ للمعاني (1: 24)، وما يكون من اللفظ من الأعراض (1: 24)، والاستقامة من الكلام والإحالة (1: 25)، الفعل المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل (1: 41)، المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول⁴⁶ (1: 41)، والمفعول الذي يتعداه فعله إلى مفعولين (1: 43)، وما يعمل فيه الفعل فينتصب وهو حال وقع فيه الفعل (1: 44) وغيرها كثير⁴⁷.

ويبدو أنّ منهج سيبويه في التعامل مع هذه الأصول وغيرها من القواعد النحوية الواسعة الاطراد أن يكتفي بالتمثيل بالأمثلة المصنوعة التي تقرّبها من الفهم دون الاستشهاد بأي شاهد لها، فلم تعد هذه الأصول بحاجة إلى الاستشهاد؛ لأنّ المسموع من كلام العرب الذي يؤكد لها لا سبيل إلى حصره، إذ لا حاجة للاستشهاد على أنّ الفاعل مرفوع في كلام العرب، أو أنّ الكلم: اسم وفعل وحرف، فاكْتفاء سيبويه بالأمثلة المصنوعة لا يعني غياب الدليل بقدر ما يؤكّد استقرار القاعدة واطرادها بما يغني عن الاستشهاد لها بالشواهد.

10. أثر الموضوعات النحوية في الاستشهاد والتمثيل

لعل هذا الأمر من أهمّ ما يشير إلى منهجية سيبويه في توظيف الاستشهاد والتمثيل في كتابه، إذ يلحظ مراعاته لنوعية الموضوع النحوي وطبيعته، فالموضوعات النحوية المطردة في اللغة جاءت خلواً من الاستشهاد بالمسموع؛ لأنّ ما جاء على أصله لا يُسأل عن علته⁴⁸ خاصة إذا كان ذلك مما شاع في كلامهم واتفقت عليه ألسنتهم. كأقسام الكلام، ورفع الفاعل، ونصب المفعول به، وإعمال الحروف والأدوات المشهورة الجارية في الاستعمال اللغوي. فقد كان منهجه في مثل هذه الموضوعات أن يبدأ بشرحها بالتمثيل بالأمثلة المصنوعة التي تقرّبها من الفهم دون اللجوء إلى الاستشهاد، ثمّ يبدأ في التعمّق في تفصيل القواعد وشرحها وأبرز ما يكون ذلك عند حديثه عن القواعد الفرعية المستنبطة من القواعد المطردة، وتعدّد الوجوه للمسألة النحوية، وما يأتي شاذاً أو نادراً، وما هو خاصّ بلغة الشّعر وضروراته، وما يتّصل باللهجات " لأنّ الكلام في مثل هذه الأمور إمّا زيادة عن الأصل، وإمّا خروج عنه"⁴⁹.

وهذا يعني أنّ طبيعة الموضوع النحوي كان له أثر حاسم في توظيف الاستشهاد والتمثيل في كتابه، فهو يبتعد عن الاستشهاد لما يواكب القواعد المطردة، ويوظّف التمثيل لشرح هذه القواعد، وأمّا ما خالف الأصل فقد كان المحور

⁴⁶ المقصود بذلك الفعل المتعدي إلى مفعولين حين يُبنى للمجهول.

⁴⁷ وانظر أيضاً الصفحات الآتية من كتاب سيبويه: ج1: 72، 98، 318، 334، 352، 361، 366، 373، 375، 376، 378، 391، 395،

396، 397، 419، 437، ج2: 22، 23،

Hassan, Tammam. 2001. Alusool Dirasatun Ibistumologiaya, Cairo, Alam Alkutub. 64 48

Hassan, Tammam. 2001. Alusool Dirasatun Ibistumologiaya, Cairo, Alam Alkutub. 63 49

الأهم لاستشهاده النحوي بما تضمنه ذلك من معالجات نحوية وشروح مفصلة وصولاً لفهم الظواهر النحوية التي يعرض لها.

11. الخلاصة

يستخلص البحث من دراسة ما تقدّم ما يلي:

الاستشهاد النحوي ركن أساسي قام عليه النحو العربي، ذلك لأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية يتداولها الناس للتواصل فيما بينهم، ولا سبيل إلى استنباط قواعدها إلا بجمع شواهدا من الناطقين بها، وهذا ما قام به علماء اللغة الأوائل حين جمعوا شواهد اللغة ووثقوها وجعلوا لها شروطاً محددة، ومن هذه الشواهد استخلصوا قواعد اللغة، ووثقوا الاستعمالات اللغوية المطّردة على ألسنة من يحتج بكلامهم سواء كان ذلك جارياً على القواعد أم مخالفاً لها.

اعتمد سيبويه على الاستشهاد بالشواهد النحوية بأنواعها المختلفة لإثبات القواعد النحوية والصرفية التي عرضها في كتابه، ووثق في هذه الشواهد اللهجات، وصور الاستعمال اللغوي الجاري بين الناطقين باللغة ممن يحتج بكلامهم.

وقد كان التمثيل أداة مهمّة للنحاة أيضاً لشرح القواعد النحوية وتوضيحها للمتعلمين والدارسين، لأنّ المثال النحوي يقرب الظاهرة النحوية من الفهم ويحلّلها ويعبّر عنها، ويساعد الدارسين على تصوّر النظام اللغوي وعناصره، وما يرافق ذلك من تغيرات في التراكيب والجمل المتداولة على ألسنة الناس.

أدرك سيبويه أهمية الاستشهاد والتمثيل في مجال التأليف النحويّ، فوظفهما في كتابه توظيفاً متناسقاً متكاملًا بعيداً عن الارتجال والعشوائية، وفق منهجية محددة، وقد كان لمنهجه تأثير واضح في معظم المؤلفات النحوية التي ألّفت بعده. ويلحظ أنه كان يبدأ في الغالب بالتمثيل بالأمثلة المصنوعة ليوضح القاعدة النحوية، فإذا ما تمّ له ذلك أخذ يفصّل شرح القاعدة النحوية ويستقصى جوانبها، وهو ما كان يتطلّب منه الاستشهاد بالشواهد النحوية إثباتاً لما يذكره من استعمالات لغوية، أو خروج عن القواعد النحوية التي يدرسها، وتفصيلاً للقواعد الفرعية وتأصيلاً للهجات، إذ إنّ العدول عن الأصل محتاج إلى إقامة الدليل.

علاقة الاستشهاد بالتمثيل في كتاب سيبويه تقوم على الترابط والتكامل، فإذا كانت الأمثلة المصنوعة توضح القاعدة وتشرحها، فإنّ الشواهد تؤكد القواعد وتثبتها، وتفصل القواعد الفرعية المتصلة بها، وتبين صورها المتعددة، وما يخرج عنها لأسباب مختلفة اعتماداً على المسموع.

كان لنوعية الموضوعات النحوية أثر كبير في توظيف الاستشهاد بالشواهد والتمثيل بالأمثلة المصنوعة في كتاب سيبويه، فكلما كانت الموضوعات النحوية مطّردة ثابتة قلّ الاستشهاد بالشواهد النحوية، وزاد التمثيل بالأمثلة المصنوعة، وكلّما كانت القواعد أقلّ اطراداً وثباتاً زاد الاستشهاد لتأكيد ما هو مسموع. كما يلحظ أنّ سيبويه قد صاغ أمثله بما يتناسب والعصر الذي قيلت فيه، وضمّن ما شاع في عصره من ثقافة وقيم.

References

- Al-Afghani, Saeed. 1994. *Fi Usool, Anhaw*, Damascus, Mudairiyatu ALkutub Walmatbuaat ALjamiyaa.
- Al- Askari. Abu Hilal. 1981. *Alfuroog Alugawiyah*, Edited by: Lajnatu Ihyaa Aturaath Alarabi, Beirut: Dar Alafaag Aljadeedah.
- Abu Almakarem, Ali. 2006. *Usool Atafkeer Anhwee*, Cairo: Dar ghareeb.
- Eid, Mohammed. 1976. *Ariwayah Walistishadu Bi Alugati*, Cairo, Alam Alkutub.
- . 1988. *Alistishaadu Wlihtijaju Bi Alugati*, Cairo, Alam Alkutub.
- Al-Farabi, Abu Nasr. 1990. *Kitaabu Alhuroof*, Edited by: Mohsen Mahdi Lebanon: Dar al-Mashreq.
- Ibn Fares, Abu Al-Hussein Ahmed. 1979. *Makayaeesu Alugati*. Edited by: Abd Assallam Haroon. Damascus: Dar al-Fikr.
- Hadithi, Khadija. 1974. *Ashahid Wausool Anhwi Fi Kitabi Sībawayhī*, Kuwait University Press.
- Hammar, Nasima. 2011. *Ishkaliyatu Taleem Anhwi Alarabi*, Algeria, Mkhbar Almumarasati Alugawiya.
- Hassan, Tammam. 2001. *Alugatu Biyan ALmiyariti Walwasfiyti*, Cairo, Alam Alkutub.
- _____. 2001. *Alusool Dirasatun Ibistumologiaya*, Cairo, Alam Alkutub.
- Al-istarābādihī, Raḍī al-Dīn Muḥammad. 1993. *Sharḥ A Raḍī Ala Ikafiyati*, Edited by; Hasan Alhifzi. Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University, Rriyad.
- Jabal, Mohamed Hasan. 1986. *ALihtijaj Biashiaari Fi ALugati*, Cairo, Dar ALfiker ALarabi,
- Jabr, Yahya Abdel Raouf. 1992. *Ashahidu Alugawiau*, Nablis: Al Najah Research Journal, vol. 2, No. 6, p.265-277
- Ibn Jenni. Abu al-Fath Othman. 1952. *Al-Khasais*. Edited by; Mohamed Ali Najjar. Cairo, Dar Alkutubi Almisriya.
- Jenghuichiti, Huda. 1993. *Khilaaf Alkhfash Alawsatu An Sībawayh*, Jordan: Maktabatu Dar Athagafati.
- Jumaa, Khaled Abdel-Karim. 1989. *Shawahid Ashiaari Fi Kitabi Sībawayhī*, Egypt, Dar al-Sharqiya.
- Al-Labadi, Muhammad Sameer. *Mujamu Almustalahaati Anhawiyati Wassarfiyati*, Amman: Muassaatu Al-Resala.
- Ibn Manzour. Jamal al-Din Muhammad ibn Makram. 1994. *Lisanu Alarab*. Beirut: Dar

Sader.

Al-Mari. Shawqi. 2002. Alamthal Fi Kitabi Sebwayeh, Journal of Arab Heritage, Damascus: Itihad Alkutaab Alarab. Vol. 86, 87 p 309.

Nayila, Abdul-Jabbar. Ash-Shawahid Walistishaad Fi Anhwī, Baghdad: Al-Zahraa Press.

Al-Qifti, Jamal al-Din Abu al-Hasan. 1986. Inbah Aruwati Ala Anbaai Anuhati, Edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Cairo, Dar al-Fikr al-Arabi.

Qurira, Tawfiq. 2016. Al-Quds Al-Arabi, Limaza Darab Zayidun Amran, vol. 27, no. 8389, March p.13 <http://www.alquds.co.uk/?p=496078>

al-Rāfi‘ī, Muṣṭafa Sādiq. Tārīkh Ādāb al-‘Arab. Cairo: Matbatu Alimaan.

Sībawayhī. Abu Basher. 1983. Kitabu Sibawayhi. Edited by: Abd Assallam Haroon. Cairo: Maktabatu Alkhaniji.

Al-Suyuti, Jalal al-Din. 1976. Aligtirah, Edited by: Ahmad Gasim, Cairo: Matbaatu Asaadah.

Al-Tahnawi, Muhammad ibn Ali. 1996. Kashaaf Istilahat ALfunoon, Edited by: Ali Dahrooj, Beirut, Maktabatu Lebanon.

Al-Zubaidi, Muhammad ibn al-Hasan. 1973. Tabagaat Anhween Wlugaween, Edited by: Muhammad Abu al-Fadl, Cairo: Dar al-Ma'arif.